المحاضرة الحادية العشر: الخطاب ومناهج التحليل: الدلالي.

1.التعريف بمفهوم الدلالة(Semantics)

الدلالة (Semantics) هي الفرع من علم اللغة الذي يدرس المعنى .لا يقتصر هذا العلم على دراسة معاني الكلمات المفردة فحسب، بل يمتد ليشمل كيفية بناء المعنى وتوليده في الجمل والتراكيب، وكيفية تفسير التغيرات في المعنى عبر السياقات المختلفة.

مقاربات "الدَّلالة: بين التَّحليل البنيوي والمنطِق الفلسفي"

منظور اللسانيات البنيوية (سوسير) :تنظر إلى الدلالة كعنصر المدلول في العلامة اللغوية، حيث المعنى نظام من **الاختلافات** داخل اللغة ذاتها.

منظور المنطق الفلسفي :ينظر إلى الدلالة من حيث الحقيقة والصدق(Truth Conditions) ؛ فالجملة تكون ذات معنى إذا أمكن تحديد شروط صدقها أو كذبها.

ويهدف هذا التحليل إلى إيجاد نموذج أو نظرية تفسر كيف يستطيع المتحدث أن يعبر عن فكرة ما وكيف يستطيع المستمع فهمها، مع الأخذ في الاعتبار الغموض (Ambiguity) والترادف.(Synonymy)

2.مستويات الدلالة(Levels of Meaning)

يُقسم تحليل المعنى عادةً إلى ثلاثة مستويات رئيسية مترابطة، والتي تشكل معاً الدلالة الكلية للخطاب:

أ. الدلالة المعجمية(Lexical Semantics)

التركيز :دراسة معاني المفردات والوحدات المعجمية المعزولة.

آليات التحليل:

السمات الدلالية :(Semantic Features) تحليل الكلمة إلى أصغر وحدات دلالية ممكنة (مثلاً: "رجل" = [+بشري]، [+بالغ]، [+ذكر]).

العلاقات الدلالية :دراسة علاقات **الترادف**، **التضاد(Antonymy)** ، و**الاشتمال**) **(Hyponymy** مثلاً: "وردة" تحت مظلة "زهرة.("

ب. الدلالة التركيبية(Compositional/Structural Semantics)

التركيز :دراسة معنى الجملة ككل، وكيف يتكون المعنى من خلال دمج معاني المفردات وفقاً للقواعد النحوية والتركيبية.

المقولة المعرفية :تقوم على مبدأ القابلية للتركيب(Principle of Compositionality) ، والذي ينص على أن" :معنى التعبير المركب هو دالة لمعنى مكوناته وطريقة تركيبها".

أهميتها :تفسر كيف يمكن لجملتين تحتويان على نفس الكلمات أن تحملان معنيين مختلفين بسبب اختلاف الترتيب (مثل الفرق بين "ضرب موسى عيسى" و "ضرب عيسى موسى").

ج. الدلالة السياقية(Contextual Semantics)

التركيز :دراسة المعنى الذي تكتسبه الكلمات والجمل عند وضعها في سياق تواصلي حقيقي (المقام)، متجاوزة المعنى الحرفي أو المعجمي.

العلاقة :ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم التداولية.**(Pragmatics)**

أمثلة التحليل:

الاستلزام الحواري :(Grice) تفسير المعاني الضمنية (مثلاً: قول "الجو حار" قد يعني "افتح النافذة").

المقام :تحديد المتكلم والمستمع وزمان ومكان الخطاب لتفسير الضمائر والإشارات (مثل "أنا"، "هنا"، "الآن").

تطور المنهج الدلالي:

شهد المنهج الدلالي تطوراً نوعياً بدءاً من التركيز على المعنى المعجمي المعزول، وصولاً إلى دراسة المعنى المنتج داخل السياق التواصلي للخطاب.

.1جذور المنهج في اللسانيات البنيوية والوظيفية

أ. اللسانيات البنيوية(Structural Linguistics)

المقولة الأساسية :وضع **فرديناند دي سوسير** الأساس لنموذج دراسة المعنى من خلال العلامة اللغوية.

التركيز الدلالي :كان الاهتمام منصباً على **الدلالة الداخلية (Intrinsic Meaning)** للوحدة اللغوية، حيث يُحدَّد معنى الكلمة بعلاقاتها **التقابلية (Paradigmatic)** و**التجاورية (Syntagmatic)** داخل نظام اللغة (اللسان) وليس بالضرورة في سياق الاستخدام الفعلي (الكلام).

القيد :قيدت البنيوية دراسة الدلالة في حدود الجملة، واعتبرت **السياق والمقام** عناصر خارجة عن نطاق الدراسة اللغوية الخالصة.

ب. اللسانيات الوظيفية(Functional Linguistics)

المقولة الأساسية :جاءت اللسانيات الوظيفية (مثل مدرسة **براغ** أو المدرسة النظامية الوظيفية لهاليداي) كرد فعل على إهمال الوظيفة والتداول في البنيوية، حيث ركزت على **الغاية التواصلية** للغة.

التركيز الدلالي :ربطت الوظيفية بين **الشكل اللغوي** و**وظيفته** .هنا، بدأ الاهتمام يتجه نحو **المعنى الذي يخدم هدفاً تواصلياً**، مثل:

التشديد على دور المتلقي)المنظور التداولي المبكر.(

دراسة **التنظيم المعلوماتي** للجملة (المعلوم والمجهول/المبتدأ والخبر).

التمهيد للخطاب :ساهمت هذه المدارس في تكسير جدار الجملة، ممهدة الطريق لدراسة وحدات لغوية أكبر تحقق وظائف تواصلية معقدة.

أهلاً بك. إليك إعادة صياغة الجزء المطلوب في فقرتين مركزتين، مع الالتزام باللغة والمحتوى الأصلي:

الانعطافة النصية: من حدود الجملة إلى تحليل الخطاب

.1الإرهاصات والتحول نحو الخطاب:

بدأت المسلمات البنيوية بالتلاشي مع ظهور ظواهر لغوية "عابرة للجمل" لم تستطع أدوات التحليل التقليدية تفسيرها، مثل الضمائر وأدوات الربط والإحالات المرجعية التي تتطلب استحضار السياق السابق واللاحق. وقد شكّلت مقالة زيليج هاريس عام 1952 نقطة تحول حاسمة، حيث صكّ مصطلح "تحليل الخطاب(Discourse Analysis) "، مُعلناً التحرر من قيد الجملة بقوله إنّ اللغة لا تحدث في جمل مبعثرة، بل في خطاب متصل، وأنّ حدود الجملة ليست حدوداً للمبنى أو المعنى. وقد وفّر هذا التحوّل مبرراً علمياً للدارسين لتبنّي مفاهيم "الاتساق والانسجام "كأدوات تكميلية أو بديلة للإعراب والبلاغة التقليدية، لفهم كيفية تشكّل البنية الكلية للنص.

.2التجريد البنائي والبعد التواصلي:

تعميقاً لهذا التوجه، نقل فان دايك النقاش إلى مستوى أكثر تجريداً في كتابه (1972) حينما رفض اعتبار النص "جملة عملاقة"، وأرسى مفهوم "نحو النص "كبنية تهتم بالبنى الكبرى (Macro-structures) التي تضمن التماسك الكلي. ويُعد هذا المفهوم جوهرياً للناقد الأدبي لأنه يتيح له القبض على "الموضوع المحوري " أو "الثيمة العامة "التي تمنح العمل الأدبي وحدته العضوية. وبلغ هذا التطور ذروته الوظيفية مع روبرت ديبوجراند في كتابه (1981)، حيث أخرج النص من كونه مادة جامدة إلى "حدث اجتماعي ."وعرّفه بأنه

"حدث تواصلي يلبي سبعة معايير للنصية"، مثل القصدية والمقبولية والمقامية .وبهذا التعريف، أسهمت لسانيات النص في دمج عناصر)المؤلف، والقارئ، والسياق (في صلب التعريف العلمي للنص، مما مهّد الطريق لتقاطعات خصبة مع نظريات التلقي والتداولية.

مثل هذا التحول نقطة تحول حاسمة أدت لظهور علم دلالة الخطاب.(Discourse Semantics)

دلالة الجملة(Sentence Semantics)

الوحدة الأساسية :الجملة كوحدة معزولة عن السياق.

الهدف :تحديد **شروط الصدق (Truth Conditions)** للجملة. أي متى تكون الجملة صحيحة أو خاطئة منطقياً (مثلاً: "الشمس تشرق من الغرب" – جملة ذات معنى لكنها خاطئة منطقياً).

القيود:

إهمال الترابط :فشلت في تفسير كيف تترابط الجمل لتكوين نص متكامل (الاتساق والانسجام).

إهمال القصد :لم تستطع تفسير المعاني الضمنية أو القصد التواصلي الحقيقي للمتحدث (مثل: "هل تستطيع إحضار لي الماء؟" – المعنى الحرفي سؤال عن القدرة، لكن المعنى المقصود هو طلب).

دلالة الخطاب(Discourse Semantics)

الوحدة الأساسية :الخطاب (النص أو الحوار) كوحدة وظيفية متماسكة.

الهدف :تجاوز المعنى الحرفي إلى **المعنى المنتج والموجه** الذي يتشكل بفعل السياق والمقام والقصد.

آليات التحول:

دمج التداولية :(Pragmatics) الاعتراف بأن فهم معنى الخطاب يتطلب إدخال عوامل غير لغوية (معرفة العالم المشتركة، العلاقة بين المتكلمين).

مفهوم الاتساق (Cohesion) والانسجام :(Coherence) ظهرت الحاجة إلى أدوات دلالية جديدة لتفسير كيفية ربط الجمل بعضها ببعض (مثل الإحالة، الروابط اللفظية) لجعل الخطاب وحدة دلالية متكاملة.

دراسة البنى العظمى :(Macrostructures) التركيز على الفكرة العامة أو المفهوم الكلي الذي يحمله الخطاب بدلاً من تحليل كل جملة على حدة.

4.المحور الثالث: آليات التحليل الدلالي للخطاب

تُعد هذه الأداة منطلقاً للكشف عن الأيديولوجيا أو النظرة للعالم (Weltanschauung) التي يحملها الخطاب، بناءً على تردد وتصنيف المفردات.

-نظرية الحقول الدلالية (Semantic Fields) التي طورها جوزيف تريير (Jost Trier) في **ثلاثينيات** القرن الماضي، والتي تنص على أن" :معنى الكلمة لا يُفهم إلا من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى في حقلها الدلالي".

آلية العمل :يتم حصر وتصنيف جميع المفردات التي تنتمي إلى موضوع محدد أو مجال معرفي (مثل حقل الحرب، السلام، الاقتصاد، إلخ).

الكشف عن الأيديولوجيا :إن الكثافة العالية لمفردات تنتمي لحقل معين (مثلاً: مفردات "الصراع، التحدي، الهيمنة") تكشف عن الهيمنة الدلالية، وهي مؤشر على النظرة العدائية أو التنافسية للخطاب، بينما تُشير ندرة المفردات الأخرى (مثل "التعاون، التوافق، السلم") إلى تهميشها القصدي.

مثال :في خطاب سياسي، تكرار كلمات مثل: (الأمة، المجد، الأجداد، البطولة) يدل على تفعيل الحقل الدلالي القومي لبناء خطاب عاطفي وإقناعي.

2.تحليل الاتساق والانسجام(Cohesion and Coherence)

تُعتبر هذه الأداة جوهرية في علم لغة النص(Text Linguistics) ، حيث تدرس العلاقات التي تحوّل مجموعة من الجمل إلى نص متكامل وذو معنى.

أ. الاتساق(Cohesion)

أسس لها اللسانيان مايكل هاليداي (M.A.K. Halliday) ورُقية حسن (Ruqaiya Hasan) في كتابهما الشهير "الاتساق في اللغة الإنجليزية"، وتنص على أن" :الاتساق هو شبكة من العلاقات السطحية التي تربط بين العناصر اللغوية داخل النص".

يدرس الروابط اللفظية الملموسة التي تحقق التماسك النصي، وأهمها: الإحالة) :(Reference) سيتم تفصيلها في النقطة اللاحقة، الاستبدال (Substitution) والحذف.

ب. الانسجام(Coherence)

الترابط المنطقي والمعنوي الذي يدركه المتلقي في الخطاب، بناءً على معرفته المشتركة وسياق الموقف".

ويركز على الروابط المعنوية العميقة، ويسعى للإجابة على سؤال :لماذا يُعد هذا النص منطقياً أو ذا مغزى ؟ يرتبط بتفسير المقاصد الكلية والبنى المعرفية العليا (Macrostructures) للنص (فهم فكرة النص الأساسية).

الانسجام هو ما يجعل الجملة: "الطقس حار. أُغلق النافذة" مترابطة، رغم غياب رابط لغوي صريح بينهما، بناءً على معرفة العالم.(World Knowledge)

3.تحليل الإحالة والمرجعية(Reference and Referent Analysis)

تُعد الإحالة إحدى أهم آليات الاتساق الدلالي، وهي عملية ربط عنصر لغوي بعنصر آخر يمثله.

المقولة المعرفية :ترتبط أساساً بالدلالة المرجعية(Referential Semantics) ، حيث يتم البحث عن المرجع (Referent) الذي تشير إليه الكلمة أو الضمير.

وهي قسمان:

الإحالة الداخلية :(Endophora) الإشارة إلى عنصر داخل النص نفسه. وهي نوعان:

الإحالة القبلية :(Anaphora) الإشارة إلى شيء سُبِق ذكره)مثل: "قابلت أحمد، وقد كان سعيداً – " الضمير يعود على أحمد.(

الإحالة البعدية :(Cataphora) الإشارة إلى شيء سيُذكر لاحقاً)مثل" :هذا ما قلته :استعدوا.("

الإحالة الخارجية :(Exophora) الإشارة إلى مرجع موجود في سياق الموقف (خارج النص) (مثل: استخدام "هنا" أو "الآن" أو الإشارة بإصبع اليد).